اللسانيات الوظيفية في الدراسات العربية المعاصرة
دراسة في جهود أحمد المتوكل

أطروحة قدَّمَها

عبد الزهرة عودة جبر

الى مجلس كلية التربية (ابن رشد) للعلوم الإنسانية / جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها / لغة

بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور

ضرغام محمود الخفّاف

1434 هـ 2013 م

الملخّص

هذه دراسة لأحد الاتجاهات اللسانية المعاصرة وهو اللسانيات الوظيفية. ويُمثّل هذا الاتجاه مرحلة متقدّمة من مراحل التفكير اللساني العالمي؛ إذ حاول أن يتجاوز نقاط الضعف التي رُصدت على اللسانيات التصوّرية غير الوظيفية التي جعلت من مبادئها العامّة أنّ بنية اللغات الطبيعية يسوغ وصفها وتفسيرها بمعزل عن وظيفتها التواصلية.

وتتخذ هذه الدراسة من أعمال الباحث المغربي الدكتور أحمد المتوكل موضوعا لها. فقد تبنى المتوكل من نظرية (النحو الوظيفي) التي صاغها العالم الهولندي (سايمون ديك) منطلقا في تحليلاته. وتُعدّ هذه النظرية من أحدث النظريات الوظيفية؛ إذ هي محاولة لصهر مقترحات نظريات لسانية كنظرية (النحو العلاقي)، ونظرية (نحو الأحوال)، ونظريات فلسفة اللغة كنظرية (الأفعال اللغوية)؛ مما جعل هذه النظرية – بحسب رأي المتوكل – النظريةَ الوظيفية الأكثرَ استجابة لشروط التنظير من جهة ولمقتضيات بناء النموذج اللساني من جهة أخرى.

وسعى المتوكل الى بناء نحو وظيفي للغة العربية، يكفل رصد خصائصها وصفا وتفسيرا، انطلاقا من مبدأ ترابط الوظيفة والبنية وتبعية الثانية للأولى، وهو أهم مبادئ نظرية النحو الوظيفي. الى جانب ذلك سعى المتوكل الى مدّ الجسور بين التراث اللغوي العربي ونظرية النحو الوظيفي، من دون إقصاء ما أنتجه الفكر اللغوي العربي ولا توجيه النقد إليه، بل بإقامة حوار بين الفكر اللغوي العربي واللسانيات؛ لاستثمار ما أتتْ به اللسانيات وتوظيفه في دراسة اللغة العربية. وهذا موقف توفيقي يُعيد قراءة التراث اللغوي العربي في ضوء رؤية لسانية معاصرة تتجاوز النقد والإسقاط وتحفظ للعرب جهودهم التي لا يمكن تجاهلها ولا القفز عليها؛ لأنّها مؤسسة على وفق نظرية مُحكمة لها أصولها الإبستمولوجية، و آليّاتها الإجرائية، وأهدافها التعليمية، التي تختلف عن أصول النظريات اللسانية الحديثة وآليّاتها وأهدافها.

وحين تبنى المتوكل نظرية النحو الوظيفي في دراسة اللغة العربية لم يكن أداة لنقل هاته النظرية، بل استطاع أن يطوّرها باقتراحات مهمّة، الى درجة أنّ روّاد النظرية أفادوا

كثيرا من تلك الاقتراحات وتبنّوها في دراساتهم. كل ذلك يجعل من مشروع المتوكل مشروعا مهما ليس في اللسانيات العربية خاصّةً بل في اللسانيات العالمية بوجه عام.

ومن هذا المنطلق وقع اختيارنا على هذا المشروع؛ ليكون موضوعًا لدراستنا التي وَسَمْناها بـ (اللسانيات الوظيفية في الدراسات العربية المعاصرة، دراسة في جهود أحمد المتوكل)، ونحاول فيها توضيح هذا الاتجاه اللساني، و نُبيّن بداياته ومدارسَه، ثمّ نُقدّم مقاربة للجهود التي قام بها أحمد المتوكل في دراسة اللغة العربية في إطار هذا المنهج، ومحاولاته في تطويع نظرية النحو الوظيفي؛ لتكون ملائمة لدراسة قضايا اللغة العربية.

وتضمّنت الأطروحة ثلاثة فصول مُقفّاة بخاتمة؛ أمّا الفصل الأول فكان مدخلا نظريًا، حاولنا فيه أن نُقدّم تصوّرا واضحا للسانيات الوظيفية، فقسّمناه على أربعة مباحث: الأوّل تحدّثنا فيه عن مفهوم اللسانيات الوظيفية ومبادئها مع تبيان اختلافها عن الاتجاهين المُتَداوَلين (الوصفي والتحويلي)، وفي المبحث الثاني تتبّعنا نشأة اللسانيات الوظيفية وتطوّرها، وخصّصنا المبحث الثالث لنظرية النحو الوظيفي التي صاغها العالم الهولندي (سايمون ديك) واتّخذها المتوكل إطارا نظريا ومنهجيا في دراساته، وفي المبحث الرابع تحدّثنا عن اللسانيات الوظيفية في العالم العربي. وأمّا الفصول (الثاني والثالث) فخصّصناهما لجهود أحمد المتوكل، ففي الفصل الثاني تحدّثنا عن جهود المتوكل في بناء نحو اللغة العربية الوظيفي، وقسّمناه على أربعة مباحث هي (تحليلات معجمية)، و(تحليلات تركيبية) ،و(تحليلات تداولية)، و(الإعراب)، وفي الفصل الثالث تحدّثنا عن محاولات المتوكل في بناء نحو الخطاب الوظيفي، فقسّمناه على ثلاثة مباحث: (الخطاب: مفهومه، بنيته ثوابته، متغيّراته) و (ظواهر خطابية) و(الإحالة).

وقد سلكنا في عملنا هذا منهجا وصفيا، لا يخلو من النقد، كما لا يخلو من موازنة أطروحات المتوكل بالفكر اللغوي العربي القديم؛ لتبيان وجوه الاتفاق والاختلاف بينهما.

الباحث